

تاريخ الجندية العثمانية

كانت نظارة المعارف العثمانية في الاستانة قد أدخلت في برنامج المدرسة الملكية العليا -- قبل تسعة عشر عاماً -- درس (قانون التجنيد) واختارت لتفسيره وتدرسه المرحوم رفيق بك مانياسي زاده الذي صار في زمن الدستور وزيراً للعدلية والمذاهب ثم توفاه الله إليه . وهذا الفصل مقدمة لتلك الدروس وهو يتناول تاريخ الجندية العثمانية نقله الى العربية صديقنا الكاتب الفاضل محب الدين افندي الخطيب :

لم تكن أمور الجندية في أوائل سلطنة آل عثمان مؤسسة على أساس متين ، وإنما كان أفراد الامة القادرون على معاناة الحرب والنضال يتقلدون أسلحتهم يوم الزحف ويتقدمون للدفاع عن الدين والوطن . وكانت الجنود في عهد السلطان عثمان مؤسس السلطنة وفي عهد أرطغرل والده تسمى « فرساناً » لأنهم كانوا يؤدون وظيفة الجندية يومئذٍ ركباناً . وكان السلطان عثمان ينشر المنادين في المدن والقرى عندما تصحح عزيمته على الحرب ، فينادي هؤلاء بالناس الى دار الإمارة . ومع ذلك فقد كان ثمة - غير هؤلاء المتطوعين - عساكر خاصة وأتباع وروضاء يوجدون دائماً حيث يوجد مركز الحكومة

و بعد سنة من استيلاء مجاهدي الاسلام على مدينة (بروسه) أصبحت هذه المدينة عاصمةً ، وصار للحكومة العثمانية مكانة خاصة بين ملوك الطوائف . وهذا ما حمل العثمانيين على العناية بوضع نظام الادارة وسن القوانين التي لا بد منها للسير في مضمار الحضارة والارتقاء . وكان في جملة ذلك أن نالت الجندية ونظاماتها حظاً من هذه العناية ، فتولى الوزير المدبر علاء الدين باشا أخو السلطان أورخان اختيار الاقوياء من أبناء الترك وخصهم بمقدار كاف من « العلف » وعهد الى « قره خليل الشندرلي » وهو قاضي (بلاجك) ان يزيد في عدد الجند وتنظيمه

أما مولانا القاضي خليل فقد بذل همه فائقة في هذا السبيل ، حتى كثر عدد هؤلاء الابطال ، فرتب لكل واحد منهم مرتباً يومياً بقيمة أقيجة (ربع درهم شرعي) تعطى لهم إبان الحرب حتى اذا انقضت قطع العلف اليومي عنهم واذن لهم

بالعودة الى أشغالهم الخاصة . ومن هذا يستدل على ان الجنود كانوا مكافئين بوظيفة
الجندي مدة غير محددة

أخذ يزداد عدد هؤلاء الجنود وهم فريق المشاة ثم كثرت وظائفهم فدفعهم
الطمع المركز في فطرة البشر الى ما أفسد نظامهم ، فخطر للسلطان حينئذ ان
يؤسس جنده على طراز آخر ، لا سيما وقد تبين أن خروج هؤلاء الجنود المشاة
عن طاعة السلطان نتيجة طبيعية لنظام القاضي بأن لا يكونوا جنوداً موظفين تماماً ،
بل هم نوع من الجنود المأجور للخدمة في زمن الحرب ليس الا

ولما تداول رجال الدولة في هذا الأمر وضع قره خليل الشندرلي لائحة قال
فيها ان استقلال العثمانيين يظل مهدداً بالخطر ما دام الجيش مؤلفاً من التركن
الرومليين ومن هؤلاء المشاة . وهو يرى ان خير دواء لهذا الداء أن يؤخذ من
الغيتان المسيحيين الذين دخلوا في الرعاية العثمانية مقدار ألف شاب في بضع سنوات
وتصرف لهم علف وتعيينات كافية باسم « وظائف الحضر والسفر » . فوقع اقتراح
قره خليل من رجال الدولة أحسن وقع . وعلى هذا سنوا نظام (دويشرمه) للوصول
الى هذه الغاية

قضى نظام الدويشرمه بأن تأخذ الدولة في كل سنة ما استطاعت من الاطفال
المسيحيين وأن تعني بتربيتهم وتهذيبهم الى ان يبلغوا سن التجنيد ، وعندئذ
يرسلون الى الثكنة العسكرية في العاصمة ، ويصرف لكل واحد منهم في كل يوم
أقجة واحدة (ربع درهم شرعي) . وقد اقترح « الحاج بكتاش ولي » أجدد رجال
الصوفية على السلطان أورخان ان يطلق على هؤلاء اسم « بني شري » بمعنى
الجندي الجديد فأجاب السلطان مقترحه

ذلك هو اصل الجنود الانكشارية وهذا سبب تسميتهم بهذا الاسم . ولم
تكن أوروبا يومئذ قد ابتدأت بتأسيس الجندي النظامية ، إذ ان فرنسا نظمت
جيش المشاة في زمن شارل السابع سنة ١٤٤٧ م وأطلقت عليهم اسم « فرنك
أرتير » في حين ان العثمانيين نظموا جيش الانكشارية سنة ١٣٢٦ م . وعلى هذا

فالعثمانيون سبقوا أوروبا الى تأسيس الجيش النظامي بأكثر من مائة سنة . ونحن نرى مؤرخي أوروبا يعزون شرف تأسيس الجنود النظامية الدائمة الى شارل السابع مع ان العثمانيين أجدر بأن يعزى اليهم هذا الشرف ، ولا ندرى كيف نوفق بين ذلك وبين انصاف هؤلاء المؤلفين

كان عدد الجنود الجديدة قليلاً فاضطرَّ رجال الدولة الى تجنيد الأسراء ومع ذلك فقد ظلَّ الجيش ناقصاً فأكمل عدده بالبيعة المسامين . اما الاسراء والاطفال المسيحيون فكانوا يسمون « الغلمان الجهلة » . وقد اعترض هذا المشروع في بدايته بعض عوارض وذلك ان القسس جعلوا يبشون في النفوس ما احدث الضغينة بين المسيحيين المتجندين ولكن هذا لم يلبث ان زال أثره بارتقايتهم في درجات الوظائف العالية وبالانصاف الذي كانوا يعاملون به حتى دعي ذلك الى اقبال الجميع على التجند وأصبحت الحكومة في غنى عن متابعة سيرها في مشروع (الدويشمره) وأحدثت في جنديتها صفّاً جديداً سمته « صف المتطوعين »



سار الانكشاريون بنظام من مبتدأ أمرهم الى يوم جلوس السلطان محمد الفاتح للمرة الاولى . وبنا عاد السلطان من وقعة (وارانة الكبرى) وارتقى عرش السلطنة للمرة الثانية أخذ الرعب من خليل باشا مأخذه لأنه كان سبب استقالة السلطان من الملك . فأخذ خليل باشا يدمسُ السائس في صفوف الانكشاريين ، ويحثهم على التمرد والعصيان ، فكان ذلك مدعاةً لشرور ومفاسد كثيرة . وأول شيء نوسلوا به للمجاهرة بالتمرد والعصيان مطالبتهم السلطان محمد الفاتح بالاحسان (بقشيش) على أثر وفاة السلطان مراد الثاني وجلوس السلطان الفاتح وذلك بعد حرب القرماني حاول السلطان الفاتح والسلطان سليم والسلطان سليمان وغيرهم من المصلحين الذين قلما تظفر الامم في كل زمان بأمثالهم ان يعيدوا روح النظام الى هذا الجيش الذي ما حارب الا ظفر ، ولكن ذهبت عبثاً كل مساعيهم وظلَّ الشر والفساد مزوجاً بتلك الشجاعة والهمم . وكذا ظلَّ الانكشاريون يجنون ثمار النصر في

الحروب فيزبدون في شرف دولتهم ومجدها . ويحدثون القلائل والفتن الداخلية في زمن السلم فيضعضعون بنيان البلاد . ولما كان عهد السلطان محمود الثاني بلغت الروح التراق وجاوز الحزام الطيبين فأدرك السلطان ان لم يبق لوجود هذا الجيش فائدة تذكر وكان قد أحس منذ كان ولياً العهد بمسئس الحاجة الى جيش معلّم فشرع سنة ١٢٤١ بتأليف جيش دعاه (اشكنجى) وأبلى في هذا السبيل بلاءً حسناً ثم نجح في محو اسم الانكشارية من الوجود

أولئك هم الانكشاريون الذين رفعوا مجد الدولة الى هام العلى وأسسى الذرى ثم دخل بينهم خليط من السفلة والادنياء فأفسدوا تربيتهم وبدلوهم من النظام اضطراباً ومن الطاعة والامتثال تمرداً وعصياناً فتجاوزوا حدودهم وطوحوا بالبلاد الى مهاوي الهلكة ومدارج الانحلال حتى أدركهم السلطان محمود الثاني فدمرهم وأنقذ البلاد من شرورهم . وسنّ قانوناً جديداً كان من مقتضاه ان جمعت جنود جديدة باسم (العساكر المحمدية المنصورة) وكان السلطان جديراً ان يدعى باسم (مجدد القوانين العثمانية)



ولما جلس السلطان عبد المجيد على سرير الملك أيد مشروع أيه بنصّ الخط السلطاني الذي قريء في الكليخانة وكان فيما جاء عن الجندية في الخط السلطاني « ان طريقة الجندية حتى الآن لم يكن يلاحظ فيها عدد نفوس كل بلدة بل يطلب للجندية من بعض البلاد ما يزيد عن درجة احتمالها ومن البعض الآخر أقل مما يجب ، وهذا أمر ينافي العدل من جهة ويضرّ في شؤون الزراعة والتجارة من جهة ثانية ، وفوق ذلك فان استخدام فريق من الناس في الجندية طول العمر يبعث في نفوسهم الملل واليأس وينتج قلة النسل — من أجل ذلك تفضلنا بإبطال هذه الطريقة العقيمة والجري بعد الآن على طريقة خير منها يكون من شأنها ان يطلب للجندية من كل بلدة مقدار معين لزمان معين . ولهذا تفضلنا في هذا الخط السلطاني بوضع طريقة القرعة العسكرية وسننا لذلك نظامات خاصة »

ولما كان الدفاع عن الدين والذنب عن حياض الدولة فريضة على كل مسلم صحيح الجسم فقد أصبح من المحتم على كل من أصابته القرعة من المسلمين المقيمين في البلاد العثمانية ان يطيع أمر النظام ويدخل في سلك الجندية ، إلا من كانت لهم موانع شرعية أو امتيازات خاصة

يتبين من هذا أن فريضة الدفاع عن الدين والوطن خاصة بالافراد المسلمين وأما المسيحيون المتوطنون في بلاد السلطنة والمتجنسون بجنسيتهما فقد أسقطت عنهم فريضة الجندية في مقابل ضريبة خاصة معينة يدفعونها باسم (البدل العسكري) وأكثروا الدول المتقدمة اتخذت طريقة القرعة في جنديتها بعد تاريخ قراءة خط الكلكخانه السلطاني في البلاد العثمانية . ولقد تدرج العثمانيون بجنديتهم منذ ذلك الحين في مدارج الاصلاح والتعديل وأهم هذه الاصلاحات النظام الذي أعلن يوم ٢٧ صفر سنة ١٣٠٤ فان بذلك بلغت جنديتنا ارتقاءها الحاضر



خطرات

« لكارمن سيلفا - ملكة رومانيا الحالية »

• المرأة الساقطة تنظر الى المرأة الشريفة كما تنظر الى المرأة التي تربها شناعة خلقها فهي تودّ لو حطمتها

• كثرة الكلام تذهب بجوهر الافكار وما تبرح تحوّل ذهبها الى دراهم زائفة حتى يظهر صاحبها فقيراً

ويقرب من مغزاه في العربية المثل السائر : « اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب »

• العقل كالمالك يسكن كوخاً ، فان مجرد وجوده يحوّل ذلك الكوخ الى قصر

• الديانات أوحى الفن ولكنه قلما كان أصحاب الفنون قديسين ،

